في مئوية ديكنز

الشخصيات الروائية في الوجدان الشعبي

سلوى جراح

تحتفل بريطانيا هذا العام بالعيد المئوي الثاني لمولد واحد من أشهر روائيها في العصر الفكتوري تشارلز جون هافام ديكنز (١٨١٢-١٨٧٠).

كاتب تمتع بشهرة واسعة في حياته ولم يفقد شهرته على مر السنين. كانت رواياته تنشر على شكل مسلسل في الصحف، ولم يكن ديكنز يكمل الرواية ثم ينشرها بل كان يكتبها خلال نشرها ويترك القارئ في لحظة توتر خلال الحدث الدرامي ينتظر معرفة المزيد.

وكثيراً ما كان يغير في تفاصيل بعض مما يكتب ليرضي القراء.

ورغم طفولة ديكنز البائسة حيث كان يعمل وهو طفل في الثانية عشرة من عمره لعشر ساعات يومياً في مكان وسخ تعيش فيه الفئران، في تغليف علب دهان الأحذية الأسود ولصق اسم المعمل على كل علبة يغلفها.

كان ذلك خلال سني سجن أبيه، وبعد خروج والده من السجن أجبرته أمه على العودة للعمل الذي لم يحبه أبدا وحرمه من المدرسة.

بل يقال إن إصرار والدته على عمله شكّل عناصر كثيرة في تعامله مع المرأة. فقد كانت تلك تجربة لم ينسها طوال حياته، تجربة جعلته يتخذ مواقف صارمة ضد عمالة الأطفال في عصر المكننة والثورة الصناعية وازدهار الإمبراطورية البريطانية، ليعود بعد سنين ويروي لقرائه بعضاً من تفاصيل حياته في روايته الشهيرة "دافيد كوبرفيلد".

البريطانيون يحبون دكنز وتصويره للعصر الفكتوري، هجومه على الطبقة الغنية وتعاطفه مع الفقراء. يدرسونه في المدارس ويقرأونه باستمرار. في ذكرى ميلاده المئوية الثانية، أقيمت العديد من المعارض والندوات وقدمت البحوث عن حياته وأعماله وهناك حالياً معرض خاص به في (متحف لندن) الشهير سيستمر حتى أوائل الصيف القادم. كما اهتم التلفزيون البريطاني بعرض العديد من أعماله التي تناولها المخرجون السينمائيون عبر السنين، بدءاً بالمخرج البريطاني الشهير ديفيد لين (١٩٠٨-١٩٩١) الذي قدم للسينما اثنتين من روايات دكينز "الآمال الكبيرة" عام ١٩٤٦ و "أوليفر تويست" عام ١٩٤٨، التي كانت أول رواية من روايات ديكنز تتحول إلى مسرحية غنائية. فقد قدمت المسرحية الغنائية "أوليفر" لأول مرة على مسارح لندن عام ١٩٦٠، وتنقلت بعد ذلك بين مسارح العالم وبضمنها برودواي، وتضمنت أغاني يعرفها ويرددها الكبار والصغار. وحين تحولت المسرحية الغنائية إلى فيلم سينمائي من إخراج كارول ريد عام ١٩٦٨، حصل الفيلم في العام التالي على ست جوائز أوسكار من أصل إحدى عشرة جائزة كان مرشحاً لنيلها. ويقال إن الممثلَيْن البريطانيين الشهيريْن بيتر سيلرز، وبيتر أوتول، رفضا تأدية دور "فيغان" اليهودي الذي يحتكر الأطفال للسرقة، وينافس "شايلوك" وليام شكسبير، في تلاعبه بمن حوله مع العلم أن شخصية "فيغان" في الرواية أكثر شراً من شخصية المسرحية الغنائية. كما رفضت إليزابيث تايلور دور الفتاة "نانسي" التي تحاول مساعدة "أوليفر تويست".

في خضم كل الدراسات التي كتبت عن شارلز ديكنز، أثارتني فكرة، أن العديد من شخصيات ديكنز وعباراتها أصبحت جزءاً من وجدان البريطانيين ولغتهم وأحاديث يومهم العادية. لا شك بأن أشهر هذه الشخصيات هي شخصية "أبينيزر سكروج" من رواية ديكنز "أغنية عيد الميلاد"، رجل شديد البخل لا يرحم أحداً، يزوره ليلة عيد الميلاد "الكريسماس" شبح الميلاد ويأخذه ليرى حال الفقراء الذين يبخل عليهم بماله. سكروج كلمة دخلت المعجم الإنكليزي وإن بحثت عن أصلها ستجد أنها مستوحاة من الشخصية التي أبدعها ديكنز. بالمناسبة هذه الرواية أيضاً أنتجت سينمائياً عدة مرات ثم تحولت إلى فيلم غنائي من بطولة الممثل البريطاني، البرت فيني عام ١٩٧٠ ثم مسرحية غنائية على مسارح برودواي عام١٩٨٨. المهم أن كلمة "سكروج" يفهمها الجميع ويقولون ببساطة: "لا تكن سكروج". حتى أن هناك شخصية من شخصيات الرسوم المتحركة لوالت ديزني تحمل اسم "سكروج داك" وهو أحد أقرباء "دونالد داك" الشهير وبخيل إلى أقصى حد. المثال الآخر "أوليفر تويست"، طفل يتيم، ماتت أمه أثناء ولادته بعد أن هربت من بيت أبيها بحملها وفقدت الصلة بأسرتها ميسورة الحال. أوليفر ينشأ في ملجأ للأيتام وفي أحد الأيام أثناء تناول الطعام يحمل وعاءه ويقول للمسؤول: "أريد المزيد" فيصرخ الرجل البدين في وجهه: "المزيد؟" ويردد كل من حوله ذلك باستغراب شديد. هذه الحادثة دخلت وجدان الناس في بريطانيا، الكل يعرفها، فأن تقول لأي شخص يريد المزيد من الطعام أو الشراب ضاحكاً مقلداً لهجة مدير الملجأ (more?)، سيجعل المقابل يغرق في الضحك.

شخصيات كثيرة من روايات ديكنز دخلت القاموس المحكي للبريطانيين لعل أشهرها "ميس هافيشام" من رواية ديكنز "الآمال الكبيرة"، سيدة يصفها ديكنز بأنها عانس في الخمسين من عمرها مزيج من الهيكل العظمي والتمثال الشمعي. كانت على وشك الزواج وهجرها حبيبها يوم زفافها بعد أن سرق أموالها، حدث ذلك في الساعة التاسعة إلا ثلثاً، فأوقفت كل ساعات البيت على ذلك الوقت وظلت بعد سنين ترتدي ثوب زفافها وفردة حذاء وتركت كعكة العرس حيث هي على مائدة الطعام نهباً للعناكب. ثم تبنت فتاة جميلة "أستيلا" وعلمتها كيف تتلاعب بالرجال. اليوم أي امرأة لا تحسن التعامل مع الحياة وتحقد على كل ما حولها يسميها الوجدان الشعبي البريطاني "مس هافيشام".

تمتع ديكنز بشهرة واسعة في حياته رغم أن النقاد لم يعطوه حقه حتى مطلع القرن العشرين. رأى فيه الكاتب الروسي العظيم ليون تولستوي (١٨٢٨-١٩١٠) عبقرية فذة في تصوير الشخصيات وكذلك فعل جورج أورويل (١٩٠٣-١٩٥٠) في حين اعتبرته فرجينيا وولف (١٨٨٢-١٩٤١) كاتباً ميلودرامياً يبالغ في الحدث ويجد دائماً الحلول للخروج بشخصياته من مأزقها في اللحظة الأخيرة. ومع ذلك فرواياته جزء مهم من تركيبة الشخصية البريطانية وشخصياته حية في الأذهان. ولكن هل سيمل جيل الفيسبوك والكومبيوتر تلك الشخصيات "الفكتورية" وهل سيأتي يوم يردد فيه البعض كلمات لا يعرفون من أين دخلت تفاصيل لغتهم من دون أن يعنيهم ذلك من بعيد أو قريب من يدري؟

محطات ثقافية

الشاعر محمد بنيس يستذكر أصدقاءه

صدر مؤخرا عن دار توبقال في المغرب، أحدث كتاب للشاعر والأديب المغربي محمد بنيس تحت عنوان: "مع أصدقاء"، وذلك ضمن سلسلة "ذاكرة الحاضر".

في هذا الكتاب، يستعيد محمد بنيس أيامه ولحظات اقتسمها مع عدد كبير من الكتاب والشعراء من مختلف بقاع العالم أثْروا وأثَّروا في حياته الشعرية منهم: أدونيس، محمود درويش، سهيل إدريس، جاك ديريدا، الخطيبي، زفزاف، محمد شكري، جمال الدين بن الشيخ، أحمد المَجّاطي، هنري ميشونيك، محمد الخمّار الكنوني، حسين مروة، إدوارد سعيد، إميل حبيبي، وغير هؤلاء.

ويقول بنيس عن كتابه هذا: "أغلب هذه النصوص، التي أجمعها اليوم، جاءت على أثر الموت، بما يفجره من صدمة الفقدان.

والباقي كان استجابة لنداء الصداقة، وقد قدمت لي لحظة الموت من فقدتهم، من بين الأصدقاء، في صورة المرآة. على قبر كل واحد منهم وضعت شاهدة. هي شهادة وشهود. وهي، في آن، أثر اعتراف بما كان بيننا. هادئة كنت أرى يدي تتقدم وتكتب. لا تلائمني الكلمات الجنائزية، لا المراثي. وها صديق في مكان آخر. لا يرحل. فقط يغير المكان الذي تعودنا على اللقاء فيه لتبني ذكرياته وأعماله مكانا يصبح له، هو دون سواه.

عرض لوحة بيكاسو "الطفلة واليمامة" للبيع

تقرر عرض لوحة "الطفلة واليمامة" لبيكاسو للبيع بعد أن استمر عرضها في متاحف بريطانيا منذ السبعينات. وأزكى قرار بيع اللوحة مخاوف من أن تغادر اللوحة بريطانيا. ويقدر ثمن اللوحة التي تمتلكها أسرة أبركونواي في ويلز بنحو ٧٩ مليون دولار. وتعرض "الطفلة واليمامة" التي رسمها بيكاسو وهو في التاسعة عشرة من العمر حاليا في معرض لأعماله في متحف تيت بريتن في لندن. وأكدت دار كريستي للمزادات عرض اللوحة للبيع. كما أعلن مجلس الفنون البريطاني نية بيع اللوحة. ورسم بيكاسو اللوحة التي تصور طفلة تمسك بيمامة وتقف قرب كرة ملونة في باريس عام ١٩٠١. ولا يتوقع أن تتمكن أي من المتاحف أو المعارض البريطانية من شراء اللوحة باهظة السعر.

متابعة

اتحاد أُدباء بابل يحتفي بمُنجز المؤرخ حسن الحكيم

بشار عليوي

بابل

ضمن البرنامج الثقافي الأسبوعي لاتحاد أُدباء بابل، قَدم الباحث والبيبلوغرافي د. صباح نوري المرزوك، مُحاضرة بعنوان (التراث الحليّ في مؤلفات النجفيين _ د. حسن الحكيم أنموذجاً) وسط حضور كبير لعدد كبير من أُدباء ومُثقفي الحلة والنجف، حيثُ أدار الجلسة الشاعر جبار الكواز، الذي قرأ شيئاً من سيرة المُحتفى به الذي يُعد من المؤرخين العراقيين البارزين، وهو أُستاذ جامعي ترأس قسم التأريخ بكلية الآداب في جامعة الكوفة وتولى عمادة الكلية، وأصبح رئيساً لجامعة الكوفة لسنوات عدة.

ثم بدأ المُحاضر د. المرزوك حديثه عن مُنجز المُحتفى به بقوله.. إن الدور الذي بذله الدكتور حسن الحكيم في دراسة التاريخ منذ تخرجه من جامعة بغداد وانخراطه في عالم الوظيفة مدرسا في الثانويات ثم تدريسيا في الجامعات بعد حصوله على شهادتي الماجستير والدكتوراه وعمله في رئاسة قسم التاريخ ثم عمادة كلية الآداب ثم رئاسة جامعة الكوفة، كان دوراً مهماً في البحث والتقصي والتدقيق والكشف، وان الناظر في قائمة مؤلفاته يرى ذلك واضحا في تنوع نتاجه وغزارته، ولا أريد الحديث عن هذا الكم ومفرداته ولكن همي يتركز في تتبع الجهد الذي بذله الأستاذ الحكيم في الكتابة عن الحلة التي يصفها بـ (الفيحاء) وعن علمائها والمراكز العلمية فيها وصلتها بالنجف الأشرف، وقد ترك من ذلك نتاجاً مهماً بين مقالة وكتاب ومقدمة لكتاب فرأيت أن اجمع ذاك وادقق فيها وأقوم بإبراز أهم ما جاء في ثناياها.

موضحا قيمة العمل الذي نهد به مؤرخنا الفاضل وأبدع فيه مما سميته بـ(حليات الحكيم) ، فقد كتب عن أسرة آل زهرة الحلبية الحلية، وأسرة آل طاووس ومساهماتها في الحركة العلمية في الحلة.

كما كتب مقدمة كتاب (المزارات ومراقد العلماء في الحلة الفيحاء، تأليف: حيدر الحسيني وتوت)، وغيرها الكثير من المواد والدراسات القيمة، وكلنا أمل في أن تظهر للأستاذ الحكيم مقالات وكتب تضاف إلى ما دبجه يراعه في موضوعة الحلة ليكشف عن جوانب أخرى من تاريخ الحلة الفيحاء.

ثُم فُتح باب الحوار والنقاش، حيثُ شارك في المُداخلات كُلٌ من (باقر جاسم محمد/ عبد الرضا عوض/ علي عوفي/ حازم الكعبي/ توفيق الكعبي).

(الطقوس وإشكالية الهوية) في بيت السلام

ضمن منهاجه الثقافي الأسبوعي يضيّف بيت السلام ومؤسسة الحوار الإنساني في لندن يوم غد الأربعاء الباحث السعودي الدكتور حمزة الحسن في محاضرة بعنوان (الطقوس وإشكالية الهوية) يتحدث فيها عن الطقوس وإشكالية الهوية في بُعديها السياسي والمعنوي، أطوار نشأتها وأبعادها السياسية وفشل تجارب مواجهتها والخلاصة من ذلك.

والدكتور حمزة الحسن باحث من السعودية، حاصل على الدكتوراه في العلوم السياسية، وناقش في أطروحته الهويات الدينية والسياسية (السعودية أنموذجاً). كما سيصدر له كتاباً بعنوان: دور الدين في بناء الهوية الوطنية (السعودية أنموذجاً).

حين لا تُسمع الكلمات المُقالة فقط بل تُرى!

ترجمة: عادل العامل

ليس من المضجر بالضرورة أن تشاهد فيلماً بلغة لا تفهمها. فأنت تركّز ما بوسعك على عناصر الفيلم الأخرى، الإيماءات، لغة الجسد، المشاهد الطبيعية، و الأشياء الإضافية. فالذي لا يفهم اللغة لا يشاهد بالضرورة الفيلم الخطأ وإنما يرى من الفيلم أكثر من غيره. ووضع هذه الخبرة المضافة في الكلمات الصحيحة هو فن ليس هناك من يتمكن منه أفضل من أمينة سيفجي أوزدَمر Emine Sevgi Ozdamar ، **على حد قول هيرولد جاهنَر في هذا المقال.**

لقد جاءت أمينة إلى ألمانيا من اسطنبول للمرة الأولى عامَ ١٩٦٥ ولم تفهم شيئاً. وقد روت ذات مرة أن كلمتها الألمانية الأولى كانت "هولتستيل Haltestelle" (وتعني موقف الحافلة). وكانت تحفظها عن ظهر قلب كي تكون مطمئنة إلى أنها تصل إلى الشارع الصحيح في طريقها للعودة. وبالطبع لم ينفع ذلك: ففي برلين هناك أماكن كثيرة جداً تُدعى Haltestelle !

وفي روايتها (جِسر من القرن الذهبي) تحكي لنا بدلاً من هذا عن كلماتها الألمانية الأولى بأصواتها المشابهة لـ " شاك، شاك، إيي، كاك كاك ". فعندما كانت هي أو رفيقتها في السكن يذهبان لشراء بيض، فإنهما كانا يهزان أطرافهما السفلى صائحتين " كاك كاك " للبائعة! و هناك مسافة كبيرة بين هذه الألمانية وروايات أوزدمر. فهذه الكتب رائعة، لأنها تنقل سحر تعلّم لغة. وهي تكتب بالألمانية، اللغة التي لا تحتفظ بطفولة بالنسبة لها، مقارنة بالتركية، التي ما تزال تختزن القوة الساحرة للنعيم المبكر، التهويدات وكذلك الانتصار الأول لقول "أنا"، "أنا أريد". وبالمقارنة، فإن الحياة في برلين أعطتها الفرصة لأن تبدأ لغوياً بالكدّ وهي بالغة. وقد تعلمت اللغة الألمانية بطريقة غريبة، عن طريق حفظ عناوين الصحف المعلقة في الأكشاك عن ظهر قلب ـ من دون أن تفهم كلمةً منها، وترد بها على مَن يسألها بالألمانية أي سؤال. وهي تقر بأن أباها دفع رسوم دورة دراسية لها في معهد غوته، حيث تعلمت اللغة الألمانية بالطريقة الكلاسيكية. غير أن طريقة تعلمها الأصلية قد شحذت فهمها للّغة. فبالنسبة لها، الكلمات تمتلك جسداً، شكلاً، ليس فقط بمصطلح الحروف بل أيضاً ككلمات منطوقة، وبوجه خاص ككلمات لا تَصل أبداً أولئك الّذين توجَّه إليهم. وهي تصف، في (جسرٍ من القرن الذهبي)، كيف كان رجالٌ أتراك يمشون عبر برلين الشتائية: "كان الأمر يبدو وكأنهم يمشون وراء كلمات تُقال بصوت عالٍ. ... كانوا يمشون هكذا مع كلماتهم، وإلى أشخاص لم يكونوا يفهمونها، كان الرجال يبدون كأنهم أشخاص يمشون مع حمار أو دجاج عبر بلاد أخرى".

وكذلك الحال في كتابها (نجوم غريبة تحدّق في الأرض) حيث أن الكلمات لا تُسمع فقط بل تُرى أيضاً. وهناك مقطع يصف ذكرى شتاء في شقّة مشتركة بلا تدفئة في برلين ، حيث كان النَّفَس يتكثّف في الهواء : "حين كنا نحن الاثنتين نقف في مدخلَي غرفتين متقابلتين ونتحدث الواحدة مع الأخرى في البرد، كنت أرى نفَسَين يتحدثان بعضهما إلى بعض في الممر. ... وحين كنا نجلس في المطبخ عند المائدة المستديرة الكبيرة ونأكل بينما نحن نتحدث الواحدة مع الأخرى، كنت أرى سبعة جداول من النَّفَس تتشكل فوق المائدة، مثل أشعة الضوء من سبعة مصابيح يدوية في ليل حالك".

إن اللغة والوحدة، بالنسبة لأمينة أوزدمر، تمضيان يداً بيد. فاللغة لا تبدّد الوحدة بل تلقيها في ضوء قوي. فهي تلوّح بالكلمات هنا وهناك مثلما يوجّه الواحد ضوء مصباح باحثاً عن شخص أو شيء ما يمكن أن يُمسك بالضوء، وهي تركض وراء الكلمات كالرجال على شوارع مغطاة بالثلج، متوجعةً من مرض الحنين للوطن. وحين تتخذ الكلمات حياةً لها في مناقشة، حين تؤدي كلمة إلى أخرى، كما تمضي العبارة الرائعة، فإن الكلمات هنا وهناك عند مائدة المطبخ تقوم آنذاك بتقطيع الهواء مثل مقصٍّ صار متوحشاً.

إن الشيء الرائع في ما يتعلق بفن أوزدمر أنها تستمتع في عوالم اللغة غير المستقرة هذه. وهي يمكن أن تكون أي شيء إلا صانعة كلمات مترددة. فهي مقدامة، مستعدة لالتقاط كل تفاحة من شجرة المعرفة انطلاقاً من حب الاستطلاع المجرد و التحمّس للحياة.

■ عن / sighandsight